

اقرأ رومية 6: 1 - 14

السيد القديم والسيد الجديد

سؤال

هناك أمران واضحا لكل من فهم الأصحاحات الخمسة الأولى من رسالة رومية. الأمر الأول هو أننا لم نخلص بواسطة حفظ ناموس الله، ولا بأي شيء آخر نعمله، والأمر الثاني هو أن نعمة الله تزداد جدا عندما تكون الخطية في أشنع صورها.

إذا استطعت أن تفهم هاتين الحقيقتين، فإن السؤال التالي قد يجول بخاطرك: "إذا كنت لا أخلص بحياة البر، فلماذا أنشغل الآن بحياة البر؟ إن ذلك لن يضيف شيئا في خلاصي حيث أنه كلما كثرت الخطية ازدادت النعمة جدا؛ لذلك فكما أخطأت أكثر، كلما اختبرت نعمة الله ورحمته بدرجة أوفر.

ربما لم تسأل نفسك هذا السؤال؛ لكن بولس الرسول سمعه كثيراً من الناس، وهو الآن يثير هذا السؤال في رسالته، لكي يجيب عليه.

ألا تظن أن بولس الرسول كان متعاطفا مع هذا السؤال بأي شكل من الأشكال؟ إن رد فعله عليه مرعب. إنه يقول: "حاشا" أي فكر فاسد. إنه يدحض هذا السؤال الخبيث بأن يسأل قائلًا: "نحن الذين متنا عن الخطية؛ كيف نعيش بعد فيها؟ إنك لا تستطيع أن تكون ميّتا عن الخطية وفي نفس الوقت تعيش فيها.

إن إجابة الرسول بولس موجزة وبسيطة، لكنها – وللأسف الشديد – غير مفهومة من الكثيرين من المؤمنين اليوم. لقد شرحها بأكثر وضوح في الأعداد 3 – 11، لكن قبل أن ندرس تلك الأعداد، دعنا نقدم توضيحاً بسيطاً يمكن أن يساعدنا على فهمها.
تعليم هام

حدث أن كان هناك عبداً فقيراً، وكان سجيناً في قلعة سيده المستبد. وكان على العبد أن ينفذ كل ما يأمر به سيده القاسي، وأصبح العبد يزداد بؤساً يوماً بعد يوم؛ لأن السيد المستبد كان يستغله، فجعل حياته مسلسللاً من الشقاء والكدر المتواصلين. وقد حاول العبد الهروب باستخدام سلم من عشر درجات، لكنه لم يستطع أن يصعد كثيراً على السلم قبل أن يلحقه سيده ويشده لأسفل بعض درجات ويضربه حتى يقارب الموت. لم تكن هناك وسيلة للهروب من هذه المعاناة والعبودية القاسية.

وكان يعيش بالقرب من تلك القلعة ملك عظيم، وبدافع حب هذا الملك للعبد المسكين دبّر خطة عجيبة لإطلاقه. ولا نحتاج من التفاصيل سوى أن نقول أن الملك قتل العبد السجين بالصلب، وعندما جاء السيد المستبد ليرى عبده؛ وجد أنه قد مات، فأنزعج جداً؛ لأنه لن يستطيع أن يستفيد منه فيما بعد. إن كل حقوقه على العبد قد سقطت. إن علاقة العبد بالسيد، والتي استمرت لمدة طويلة، قد انتهت نهاية دائمة.

وعندما دُفن جسد العبد؛ جاء الملك العظيم بمفرده، وأقامه من الموت، وأخذه إلى بيته الخاص. لقد غمر ذلك العبد شعور بالامتنان لمنْ خلّصه من حالته الصعبة بهذه الطريقة العجيبة. وكان فرحه غامراً لأنه وجد نفسه في بيت سيد حكيم وكريم وقوي. لقد كان قلبه مملوءاً بالمحبة الخالصة، والتعلق الشديد بمخلصه، وقرر أن

يخدمه – من الآن. إن العلاقة القديمة قد انتهت بموته، ومع ذلك فهو لا يزال حيًا. لقد أدرك الآن أن امتلاكه لهذه الحياة الجديدة يعني أنه يدرك أنه لا يوجد إلا شخص واحد يمكن أن يخدمه الآن. لقد مات بالنسبة لسيدته القديم، ولكنه حي لسيدته الجديد. لقد مات عن الخطية ولكنه يعيش لله.

إذا كنت مؤمناً، فإنك تحتاج أن تفهم علاقتك بالخطية، إنها السيد القديم الذي كان يوماً ما يسود عليك. لقد اجتزت موتاً. اقرأ الأعداد 2-6 مرة أخرى ولاحظ كيف يعرض بولس الرسول هذه الفكرة. "لأنك قد مُت هذا الموت"، فالخطية لم تعد قادرة على التحكم في حياتك. ولكونك ميتاً، فأنت قد تحررت من الخطية (عدد7، 11). لقد سادت عليك الخطية فيما مضى. لقد كانت سيدتك المسيطر عليك، وكما فعل السيد المستبد؛ وضعتك في العبودية والشقاء. لكن هذه العلاقة قد انتهت تماماً؛ لأنك اجتزت موتاً – أنت الآن ميتٌ بالنسبة للخطية.

وأنت الآن في علاقة مع سيد جديد، هو الله. بعد موتك بالنسبة للخطية، حدثت لك قيامة (عدد4، 5). إنك الآن حيٌّ، ولا يمكن أن تموت مرة ثانية (عدد8، 9). "احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا" (عدد11). سيد واحد – وواحد فقط – هو الذي له حق مساءلتك، وهذا السيد هو الله نفسه.

إذا اعتبرت أن المؤمن له سيدان، كل منهما يسود عليه في أوقات مختلفة فإنك لم تفهم ما يقوله بولس الرسول. لا توجد طبيعتان للمؤمن، إنه ليس فصامياً، أحياناً يكون خاضعاً لطبيعة بمقاييسها الخاصة، وفي أحيان أخرى يكون خاضعاً لطبيعة أخرى لها مقاييس مختلفة. إن كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً. قد بطل الإنسان العتيق، والعامل الآن هو الإنسان الجديد. هناك صعوبات في أن يحيا الإنسان حياة الإنسان الجديد – كما

سنرى - ومع ذلك، لم يعد هناك سيدان للإنسان؛ فالمؤمن قد مات عن واحد ويحيا للآخر.

لكن متى حدث كل هذا؟ متى مت أنت شخصياً كمؤمن عن الخطية؟ ومتى قمت لتحيا لله؟

لكي نجيب على هذا؛ علينا أن نأخذ دقائق قليلة في الحديث عن الاتحاد بالمسيح، الأمر الذي نتمتع به كمؤمنين. يصف العهد الجديد المؤمن بأنه "في المسيح"، إنكم قد اتحدتم بالمسيح حسب اختيار الله "الذي اختارنا في المسيح قبل تأسيس العالم" (أفسس 1:4). عندما عاش المسيح حياة كاملة على الأرض، فإن هذه الحياة حسبها الله حياتك، وهذا هو التبرير، الذي شرحناه في الأصحاحات 1 - 5. وعندما مات المسيح، فإن موته قد حسبه الله موتك أنت؛ لذلك يعلن الله أنه لا موت عليك اجتيازه بسبب خطاياك. وهذا أيضاً ما أخبرنا به بولس الرسول في الأصحاحات 1 - 5. وبنفس الطريقة، عندما قام المسيح من الموت، حسب الله قيامته قيامتك (أف 2:5). إن كل خلاصك يعتمد على حقيقة اتحادك بالمسيح.

بعد أن عرفت هذا، اقرأ الأعداد 2 - 6 ، 8 ، 10 ، 11 مرة ثانية. وهكذا قد أجيب عن سؤالنا، فإنه عندما مات يسوع على الصليب، مت أنت عن الخطية. إنه لم يموت هو فقط من أجلك، (كما عرفنا في الأصحاحات 1 - 5)، لكنك مت أنت معه. وفي حساب الله، فإنك كنت على الصليب عندما مات المسيح، وبنفس الطريقة حسبت قيامتك بقيامته، فلأنك قد اتحدت مع المسيح بحسب قصد الله، فإنه حسب لك أنك قمت، عندما قام المسيح. لقد قمت عندما قام المسيح، ويوضح بولس الرسول هذا في الأعداد 4 - 5، 8 - 9. لقد قمت لا لكي تموت ثانية. المسيح يحيا لله وهكذا أنت أيضاً. هذا هو السبب الذي لأجله تحسب نفسك حيا لله، بيسوع المسيح ربنا، كما هو مكتوب في عدد 11. وهذا هو بالضبط الحق الذي ترمز إليه المعمودية

المسيحية. ويحتكم بولس الرسول إلى هذه الفكرة لكي يوضح هذه الحقيقة الهامة لقرائه.

ممارسة هذه الحقيقة

لكن كيف يمكن للمؤمن أن يحيا - بشكل عملي - حياة تحررت من سلطان الخطية، وأصبحت تحت سلطان الله؟ هذا السؤال تُجيب عليه الأعداد 12-14، لكن دعونا نواصل القصة التوضيحية التي سبق أن بدأناها.

العبد الذي مات وقام ثانية، يعيش الآن خادماً للملك الذي أنقذه من سلطان السيد القديم. وبينما هو يخدم الملك، قابل سيده القديم، فحاول السيد القديم أن يدخل الرعب إلى قلبه، وأن يعطيه الأوامر، كما كان يفعل من قبل، بل ويهدده بالضرب إن هو لم يُطع أوامره، فماذا يجب على ذلك العبد أن يعمل؟

أول كل شيء عليه أن يتذكر شيئا، ويجب أن يتذكر أنه صحيح: عليه أن يتذكر أن السيد القديم لم يعد له عليه أي سلطان لكي يأمره، وليس له أي حقوق عليه أو سلطة ليفعل ما يقوله له؛ فالخطية لم تعد هي سيده، برغم كل الادعاءات التي تقدمها. إن له سيدياً شرعياً واحداً فقط، هو السيد الجديد، وكل أمر يصدر من السيد القديم المستبد، يجب أن يقول له: "لا، لم يعد لك عليّ أي حق على الإطلاق. إنك مغتصب وتأمرنى أن أفعل أموراً، لست ملزماً أن أفعلها. ليس لك عليّ سلطان البتة. لن استسلم لأوامرك، وليس هناك ما يمكن أن أعمله معك. إنني أرفض أوامرك".

لكن رفض العبد لخدمة السيد القديم ليس كافياً؛ عليه أن يكون منشغلاً بخدمة السيد الجديد، كحي من الأموات، يسير في جدّة الحياة (الحياة الجديدة). يجب أن

يوظف كل طاقاته وقدراته لخدمة الله. عليه أن يسلك في الروح وهذا سوف يضمن له، ألا يكمل شهوات الجسد (غل5: 16).

إذا قرأت الآن الأعداد 12 – 14 مرة ثانية؛ فسوف تفهم المعنى. لكي يحيا المؤمن حياة مقدسة؛ عليه أن يتذكر أن علاقته بالخطية قد انتهت، وليس لها أي سلطان عليه. عليه أن يرفض أوامرها؛ وليس كافيًا أبدًا أن يقول لها: "لا". عليه أن يخصص نفسه لله: "قدموا ذواتكم لله، كأحياء من الأموات؛ وأعضاءكم آلات بر لله" (عدد13؛ انظر أيضا عدد19). السيد القديم لا يستطيع أن يتحكم في حياتك فيما بعد. إنك لم تعد تحت الناموس، تحاول أن تهرب من الخطية، وكلما تحاول أكثر تُهزم أكثر، لكنك بفضل رحمة الله الغالبة، أصبحت متميزًا عند الله. إنك تحت النعمة.

هذا التعليم عمليٌ جدا، فعلينا أن نسلك في هذه الحياة متجنبين السيد القديم. وهذا هو معنى إماتة الجسد، فإذا وجدت أن كتابا أو برنامجا تليفزيونيا يحتثني على الخطية؛ فيجب أن أتركه فوراً. أي شيء غير ضروري يمكن أن يفودني إلى مواجهة مع السيد القديم، عليّ أن أتركه. إن السيد القديم أقوى كثيرا مما نظن، وسوف يعمل كل ما في وسعه ليجعلنا خاضعين له. إننا نحتاج أن نبتعد عنه، كما عن وباء؛ لأنه وباءٌ بالفعل.

لكننا متأكدون أننا سوف نقابله، مهما حاولنا أن نبتعد عنه، ومع ذلك فنحن نملك الآن القوة والسلطان لرفض أوامره، الأمر الذي لم نكن نملكه في حياتنا قبل التجديد. إننا لسنا خاضعين بعد للخطية؛ لم يعد لها سلطان علينا، فكل خطية تواجهنا – مهما كانت جاذبيتها – يمكن أن نقول لها: لا، وسوف نرى أنه برفضنا للخطية، نجني انتصاراً عظيماً.

ولكن لن يكون انتصارنا كاملاً، إذا لم نُخضع نفوسنا لله. من المهم أن نخضع قدراتنا ومواهبنا للسيد الجديد، وأن نقضي ساعاتنا وأيامنا عاملين كل ما يمكن عمله لنرضيه. كانت صلاة بولس الأولى كمسيحي هي: "يا رب، ماذا تُريد أن أفعل" (أع9:6)، وهذه يجب أن تكون صلاتنا اليومية. يجب أن نرى في كل يوم وفي كل ساعة فرصة لكي نخدمه، وأن نبحت عن عمل كل ما يمجد الله (1كو10:31). يجب أن تنشغل أيادينا بعمل الله، وأن ننظم وقتنا لنعمل أقصى ما تسمح به حياتنا البشرية. عندما نقضي كل وقتنا طالبين بسرور إرضاء سيدنا الجديد فلن نكون أبداً فريسة سهلة للسيد القديم.

يجب علينا قبل أن ننهي هذا الجزء، أن نشير إلى قوة صليب المسيح. إنه لم يُنصب فقط من أجل تحريرنا من دينونة الخطية، لكنه حطم أيضاً سلطان الخطية الذي كان يسود علينا. إننا لا نجرو على الابتعاد عن الصليب. عندما يختفي الشكر من صلواتنا الشخصية لأجل عمل الجلجثة، وعندما يفقد الصليب مركزيته في الوعظ الذي نسمعه، وعندما يكون تذكارات الصليب في عشاء الرب مجرد شيء إضافي غير ملزم، وعندما تخبو الجلجثة بكل ما فيها من عجائب عن أنظارنا؛ فإن ذلك سيكون هو الوقت الذي نفقد فيه حياة القداسة. "وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم" (غل6:14).

اقرأ رومية6:15 – 7:6

العبودية والحرية

لا يوجد من خلص عن طريق تنفيذ الوصايا العشر، ولا بأي شيء آخر قد عمله، لكن الإنسان يخلص لأن الله وحده ببسوع المسيح. إنه يملك كل الامتيازات التي استخلصها له المسيح، عندما اجتذبه الله للإيمان.

إذا لم يكن أحد قد خلص عن طريق حفظ الناموس؛ إذا ما هو مكان الناموس في الحياة المسيحية؟ هذه هي القضية التي يعالجها الآن بولس الرسول. وهو يعالجها – كما فعل من قبل – من خلال أسئلة يسألها لقرائه.